الخطاب الديني في الشعر الجاهلي

بقلم: محمد مقدس

Abstrak

Bangsa Arab dikenal sebagai bangsa yang kaya akan peradaban. Bangsa ini juga merupakan pusat semua agama samawi. Ada dua fase penting yang dilalui bangsa ini, yaitu: fase sebelum Islam, lebih dikenal dengan fase jahiliyah dan setelah Islam. Fase jahiliyah inilah yang akan menjadi fokus pembahasan makalah ini.

Fase jahiliyah dalam makalah ini tidak berarti fase kebodohan secara literal, yang berarti kebalikan dari fase ilmu pengetahuan, sebab kenyataannya, sebagaimana ditulis dalam paper ini, Arab jahiliyah sudah sangat piawai menggubah puisi, di samping ilmu perbintangan, ilmu tentang cuaca dan lain sebagainya. Para penyair dan hasil-hasil karya mereka sangat dihargai oleh bangsa Arab jahiliyah. Maka tidaklah mengherankan bahwa puisi Arab jahiliyah bagaikan bagaikan "arsip" penyimpan data berbagai peristiwa yang terjadi, tradisi yang berlaku, dan hal-hal yang berkaitan dengan keyakinan atau agama.

Makalah ini mempresentasikan wacana keagamaan, yang ternyata dapat ditemukan dalam khazanah puisi Aran jahiliyah. Dari temuan ini diharapkan agar pandangan orang terhadap Arab jahiliyah lebih proporsional.

Abstract

The Arabs are known for their civilization and centre for all divine religions. There are two important periods in the history of the Arabs: pre-Islam and early Islamic periods; and this paper mainly focuses on the former.

In the literal sense, *jāhiliyyah* is not identical with the foolishness as opposes to knowledgeable, because, as the author of this paper suggests, the *jāhiliyyah* people were well-verse in composing poetry (*shi'r*), exploring astronomy, and forecasting weather. These mean that they were not ignorance. The authors of the Arabic poetry as well as their works were highly respected by the Arabs. Therefore, people regard the Arabic poetry as a "filing cabinet" that preserves all data of events happened, traditions practiced, and creed followed at that time.

The current article is an attempt to unveil a religious discourse found in the Arabic poetry of *jāhiliyyah*. It is hoped that after reading the paper, readers will get better outlook toward the *jāhiliyyah* of the Arabs.

لا تزال الدراسة في الخطاب الديني والثقافة في أية أمة هذا العالم تلفت إليها الأنظار. ذلك أن الإنسان يتمكن بها من توسيع الآفاق والمعارف فيما يخص بما كانت عليه آباؤه وأجداده في قديم الزمان. والأمة العربية معروفة بثروتها الثقافية ومصدر الأديان السماوية جميعها. وهي في تطورها - كالأمم الأخرى في العالم - قد جاوزت مراحل التاريخ ولكن هناك - على الأقل - مرحلتان مهمتان هما مرحلة ما قبل الإسلام المشهورة بالمرحلة الجاهلية (نحو خمسين ومائة سنة) ومرحلة ما بعد الإسلام إلى وقتنا الحاضر.

ولا تعني المرحلة الجاهلية أن العرب كانوا يعيشون في الجهل الذي هو ضد العلم وإنما الجهل الذي هو السفه والغضب والأنفة، وهذا ضد الإسلام الذي هو السلام والخضوع والانقياد[1]. والجاهلية بهذا المعنى يدل عليها كون العرب قبائل ينازع بعضها بعضا وكانوا بدوا يعيشون تحت الخيام ويرعون الأنعام إلا بعض القبائل التي تقيم بالحضر أو الأراضي الخصبة التي تعتمد على التجارة.

ورغم أن العرب أميون إلا أن لهم أنواعا من المعارف والعلوم كعلم النجوم ومواقعها والأنواء والرياح لعلاقتها بالغيث، وعلم الطب والبيطرة وعلم الأنساب والقيافة والفراسة[2]. وكانت براعتهم في الشعر لها شأن خاص في الأدب العربي. فالشعراء وأشعارهم في أوساط العرب ذووا منزلة عالية. إن الشعر الجاهلي كما قال ابن عباس ديوان العرب[3] فيه سجلهم الحافل بوقائعهم وأيامهم وعاداتهم والأمور المتعلقة بالدين. تحاول هذا المقالة تحليل ما في هذا الشعر من الخطاب الديني لتمهيد الجيل الحالي إلى فهم الأدب العربي بنوع خاص.

خصائص العرب الدينية

كانت خصائص العرب الدينية في الجاهلية على وجه العموم قد دلت عليها حياتهم المهملة الغافلة عن ملة التوحيد التي جاء بها الرسل قبل النبي صلى الله عليه وسلم، فهم يعبدون الأصنام. وقد أدت حياتهم المشركة إلى النزاع بين القبائل، والشرب، والميسر، ومعاملة النساء بسوء إلى أن بعض القبائل يئدون البنات لأنهم يستحيون منهنّ.

وقد بلغت جاهليتهم أوجها حيث أنهم يعبدون ما صنعوه بأنفسهم من الأصنام من الصوان والعقيق والخشب ومعجون التمر ونحوه حسب سعتهم. هكذا لقد وقع دينهم الاجتماعي وخلقهم إلى أعماق التدهور حتى لم تعد تكون قيمهم الدينية والخلقية المورثة رابطة لحياتهم الفردية والاجتماعية.[4]

وتعتبر الوثنية مظهرا عاما في اعتقاد العرب في الجاهلية. وفي الحقيقة تقوم الوثنية المرموزة إلي الأصنام على عقائدهم التي يستطيع تمييزها وتفريقها حسب حياتهم اليومية . فعقيدة البدو أرواحية المظهر، وهي التي تكون طبقة أولى في العقيدة البدائية، لا تزال طقوسهم منسجمة مع تقاليد آبائهم وأجدادهم الموروثة. وأما عقيدة المتحضر العربي الجنوبي متطورة لا بأس بها، فهم يعبدون ما في السماء، ولهم المعابد المزينة بالفصوص، وطقوسهم يقام بها بكل دقة والقربان[5]. ولم يتغير مثل هذه العقيدة بكثير ولو ظهر مفهوم الوثنية فإن المظاهر الطبيعية كالأشجار، والأعين، والغيران، والأحجار، مقدسة وخاصة للبدو لما فيها من الأرواح لتكون وسائل إلى آلهتهم.

إن عبادة الأصنام كما قاله شلبي بدت في بادئ الأمر حينما رحل العرب خارج مكة، فيحملون الأحجار حول الكعبة ويقدسونها ويعبدونها . ويمضى الزمن فيصنعون الأصنام ويطوفون حولها . ولكن لا تزال تؤثر بعض تعاليم التوحيد التي جاء بها إبراهيم عليه السلام والتي عرفها العرب في مكة وما حولها في نظام دين العرب الجاهليين.

ومن المعروف أن إبراهيم مع زوجته هاجر، وابنه إسماعيل يبنى البيت ويعلم المناسك، فكثر اختلاف الناس إليه زرافات ووحدانا ليحجوه . لم يزل العرب في الجاهلية يزورون البيت ويصنعون الأصنام التي بلغ عددها إلي ستين وثلاثمائة صنم حوله. وبهذا، لم يطوفوا البيت فحسب بل يطوفون أيضا هذه الأصنام.

ومن هذه الأصنام ما كان منتشرا في أنحاء جزيرة العرب ، وكبيرها هبل المصور كإنسان ويوضع داخل الكعبة. قيل إنه بوصفه إلها هاما لقريش قد حمله متولى مكة حينذاك عمرو بن لبي خزاعة . وهو يحمله من بلقع، وقد أثر عليه ما فعله أهل الشام من عبادة الأصنام[6]. والأصنام الأخرى المشهورة هي العزى في حجاز واللات في طائف، والمناة في قرب يثرب.

وبالرغم من أن الوثنية قد فشت في عرب الجاهلية إلا أنهم في الحقيقة لا يزالون يؤمنون بالله. فإذا سئلوا من خلق السموات والأرض ليقولن الله. وقد أشار إليه القرآن: "ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله[7]". وهم يوقنون بأنهم لا يعبدون هذه الأصنام ذاتها، فهي عندهم ليست إلا وسائل لعبادة الله. وهذا الاعتراف يشير إليه قوله تعالى: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.[8]"

يكون تحريف هذه العقيدة فاشيا إلى قبيل ظهور الإسلام فوقعوا على الشرك. لكن، لا يزال هناك فئة قليلة تلتمس وتعانق الحنيفية وهي تعاليم التوحيد لإبراهيم عليه السلام، ومنهم ورقة بن نوفل (ابن عم خديجة)، وعثمان بن الخويرث (مسيحي) وعبد الله ابن جحش، وزيد بن عمر[9]. وهناك – بجانب هذه الفئة – من يدينون المسيحية وخاصة الذين من اليمن ونجران والشام. والآخرون هم اليهود وخاصة الذين يهاجرون من اليمن ويثرب. وفي أثناء مثل هذا الاجتماع الديني،

لا ينجذب العرب إتباع النصرانية أو المسيحية واليهودية اللتين لا يزال يتنازع معاقوهما، ولكنهم قد اقتنعوا بالوثنية.

شعراء العرب وأشعارهم

كان للشعراء عند العرب منزلة رفيعة، وحكم نافذ، وسلطان غالب، حتى لا يزال يرجو كل قبيلة نبوغ شاعر فيها، لأنه تخليد لمفاخرهم، وإشادة بذكرهم، وحماية لأعراضهم. وما قاله الشعراء يقوم به قومهم بخضوع إذ لهم حساسية اجتماعية عظيمة حتى يتمكنوا من إدراك ما لم تدركه العامة من ماهية الحياة. هذا، قد أنزلتهم قدرتهم في تعبير ما يخطر لهم من الأفكار إلى الناس حكمة وشعرا منزلتهم المهمة في حياة العرب.[10]

كثيرا ما يسمى النظم بوصفه تعبيرا عما يختلج في صدور الشعراء بالشعر. وعرفه العروضيون بأنه الكلام الموزون المقفى. أما المحققون من الأدباء فيخصون الشعر بأنه الكلام الموزون المقفى المعبر غالبا عن الأخيلة البديعة والصور المؤثرة البليغة[11]. وأنواعه مختلفة وفقا لعدد أبياته. وهناك نوعا الشعر العربي على الأقل، أحدهما المطولات المسمى أيضا بالقصيدة والشعر، وهو الذي يتكون من سبعة أبيات إلى ما لا نهاية. والأخر هو المقطعات وهي أقل من سبعة أبيات.

ومن المتفق عليه أن الشعر قد ظهر قبل مجيء الإسلام بمدة طويلة. وأما الاختلاف بين مؤرخي الأدب العربي فهو مبدأ قول الشعر. وأول من قاله في أنواعه المختلفة كما وصل إلى الجيل الحاضر. والجاحظ على سبيل المثال يقول إن الشعر العربي لا يكون إلا حوالي خمسين ومائة سنة قبل ظهور الإسلام ولا يتجاوز مائتي سنة[12]. وكثيرا ما يصبح هذا الرأي مرجعا للرواة الآخرين بأن الشعر العربي لم يظهر إلا في منتصف القرن الثاني قبل الهجرة. وأول من قال الشعر المهلهل بن ربيعة.

وهذا الشعر من المطولات بثلاثين بيتا، فيه موضوع خاص وهو الرثاء لقتل أخيه كليب. وتبعه الشعراء مثل امرئ القيس، وعلقمة، وعبيد.[13]

وتدور أغراض الشعر الجاهلي بنوع عام كما جاء في كتب تاريخ الأدب العربي حول ما يأتي :

1. النسيب ويسمى التشبيب: وهو أن يذكر الشاعر النساء ومحاسنهن، وشرح أحوالهن، ووصف الأطلال والديار بعد مغادرتهن. وكان للنسيب عند الشعر الجاهلي المقام الأول.
2. المدح : وهو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل والعدل والعفة والشجاعة. وأن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه، وتعداد محاسنه الخلقية كالجمال وبسطة الجسم.
3. الفخر : وهو تمدح الشاعر بخصال نفسه وقومه، والتحدث بحسن آبائهم ومكارمهم، وكرم عنصرهم، ورفعة حسبهم ونسبهم، وشهرة شجاعتهم.
4. الرثاء : وهو تعداد مناقب الميت. ويعتاد الشعراء قبل الإسلام قصد الشعر لرثاء الملوك أو شيوخ القبيلة أو الإخوان أو الحبيبات.
5. الهجاء: هو تعداد مثالب المرء وقبيله، ونفي المكارم والمحاسن عنه.
6. الاعتذار: هو درء الشاعر التهمة عنه، والترفق في الاحتجاج على براءته منها.
7. الوصف: هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السمع كأنه يراه أو يشعر به. والعربي الجاهلي يشرح كل ما يراه ويشعر به.
8. الحكم والمثل : هي الأشعار المتضمنة حكما مقبولا أو تجربة صحيحة، تمليها عليها طباعه بلا تكلف.[14]

إن تطور الشعراء وأشعارهم في مختلف أغراضها تدعمه العوامل الكثيرة، وأهمها العربية الفصحى التي تأصلت من اللهجتين : الأولى – العربية الشمالية وهي لغة العدنانيين في الحجاز وما حوله. والثاني – العربية الجنوبية وهي لغة القحطانيين في اليمن. وتختلف هاتان اللهجتان في الإعراب، والضمير، والاشتقاق، والتصريف. وكان اختلاطهما في سنة سبع وأربعين وأربعمائة على وجه التقدير بحيث ينتقل كثير من الجنوبيين إلى الشمال بفساد سد مأرب.

والعامل الآخر الذي يدعم تطور الأدب العربي الجاهلي هو منزلة مكة وقبيلة قريش التي تولتها وما حولها. فإن مكة مركز تجاري هام لموقعها بين الشام واليمن، وبين خليج الفرس والبحر الأحمر في حين أن القريشيين يلعبون دورهم الهام في التجارة والسياسة، ولهم منزلة عظيمة بين القبائل الأخرى ولا سيما بعد أن استعادوا نفوذهم السياسي في مكة وما حولها من أيدي بني خزاعة. ويضاف إلى ذلك مساهمة القريشيين في النشاطات الدينية وفي موسم الحج خاصة بحيث أن مكة مقصد أنظار العرب ليحجوا البيت في شهر ذي الحجة.

ولا محيص من أن العوامل سياسية واقتصادية ودينية قد أثرت عمليا على تطور الأدب العربي. فكثيرا ما تفتح الأسواق في النشاطات الدينية قبيل موسم الحج، ومن أشهرها عكاظ، ومجنة، وذو المجاز. فهذه الأسواق ليست للبيع فحسب بل كانت فيها المسابقة في الخطابة وإنشاد الشعر. ثم يكتب الشعر الأطيب ويلصق بالكعبة. وهذا هو المسمى في تاريخ الأدب العربي بالمعلقات. ويكون مجلس الحكم من الحكماء والشعراء والخطباء المشهورين من قبيلة قريش حتى لا يمكن الإبعاد عن نفوذ لهجاتهم. فهم الذين يرأسون ظهورهم اللغة الفصحى.

ومن المذكور فيما مضى أن خصائص العرب الدينية في الجاهلية تتمثل في نظام الوثنية ولو كان منهم يهوديون ومسيحيون. وتؤثر هذه الحال بالطبع على تطور الأدب العربي. ومما يفعله

الشعراء وتلفت إليه الأنظار في مواجهة هذه الحال هو محاولتهم في تأمل حياة الناس الحافلة بالوثنية. وهم يتدبرون ويلتمسون عن الحقائق وخاصة من تعاليم الأديان المنتشرة مثل اليهودية والنصرانية، فمنهم من لم يقنعوا بالحق من أهل الكتاب فيجتمعون في المجموعة الجديدة المسماة فيما بعد بالحنيف أو الحنفاء.

كان الشعراء من الحنفاء مختارين كمية وكيفية، ويبتعدون عما فعله من العادات السيئة مثل الشرب والميسر وعبادة الأصنام مازالوا يبحثون عن الفطرة وهي الملة التي دعا إليها إبراهيم والرسل في الكتب الدينية التي وصلت إليهم، فمنهم من يدخلون دين أهل الكتاب مثل عثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل وأبي جحش ولكنهم يخرجون منه فيما بعد.[15]

وقد يصور الحنيف في الشعر الجاهلي راهبا ولو لم يكن من معتنقي دين أهل الكتاب كما قد فعله أمية بن أبي صلت فهو لا يزال يلبس ملبس الراهب ويزور الكنائس، ويحادث الرهبان حتى يعتبره بعض الناس مسيحيا مع أنه في حقيقة الأمر ليس من المسيحيين[16]. وقد دل على هذا قول أبي قيس سمرة وهو حنيف بحيث يقول إن الأديان في الحقيقة تنشد ماهية متساوية ولو كانت طقوسها وصورها مختلفة. وعلى هذا فإن الجاهليين يعتبرون الحنيف بأنه راهب.

بعض الأشعار الجاهلية التي فيها إشارة إلى الدين

إن الإشارة إلى الدين والعقيدة تستطيع ملاحظتها في الأشعار الجاهلية سواء كانت من الشعراء الحنفاء أم من الآخرين. تدل هذه الأشعار على الإيمان بالله واليوم الآخر. وفقا لموضوع هذه المقالة فإن الأشعار المقدمة في هذا الصدد تنحصر على الأبيات التي فيها إشارة إلى الاعتقاد بالله واليوم الآخر في نظر العرب الجاهليين.

ومن شعراء الجاهلية الذين تعكس أشعارهم الاعتقاد بكون الله إلها من يأتي:

1. زيد بن عمرو بن نوفل (توفي 606 م) .

هو حكيم قريش، ابن عم عمر بن الخطاب، لا يعبد الأصنام ولكنه يحارب ما لتقاليد الجاهلية من وأد البنات. ومن أبياته التي فيها إشارة إلى الاعتقاد بالله ما يلي:[17]

أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسمت الأمور

عزلت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الجلد والصبور

فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بنى عمرو أزور

ولا غنما أدين وكان ربا لنا في الدهر إذ حلمي صغير

يسأل زيد بن عمرو بلاغيا في هذه الأبيات : أربا واحدا أم ألف رب يطيع؟ يرى أن الأمور تقسمت إذا تولتها الأرباب الكثيرة،فليست الأرباب المتعددة كما يدينها الجاهليون ربا حقيقيا لأن تعددها يدل على ضعفها، والرب الحقيقي رب واحد قوي يتولى الأمور جميعها . لذا يبتعد زيد الأرباب المسماة باللات والعزى وابنتيها . وصنمي بنى عمرو والغنم. هذه الأصنام المعبودة يتركها هو ولا يدينها لأنه قد فكر كون الرب الواحد منذ طفولته.

2. قس بن ساعدة الإيادي

هو أسقف نجران وخطيب العرب وحكيمها وحكمها . ويقال إنه أول من خطب على شرف واتكأ على سيف، وقال في خطبته... أما بعد . كان يؤمن بالله ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة وخاصة في عكاظ توفي سنة 600 م[18] . ومن أبياته التي تشير إلى الإيمان بالله ما يأتي:[19]

هاج للقلب هواه ادكار وليال خلالهن نهار

وجبال شوامخ راسيات وبحار مياههن غزار

ونجـــوم بحثها قمر اللـــيل وشمس في كل يوم تدار

والذي قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار

ويعبر قس بن ساعدة الإيادي بهذه الأبيات عن الليل والنهار والجبال الشوامخ الراسيات والبحار المتوجة والشمس والنجوم. وهذه تشير إلى الله وتكون هداية واعتبارا للنفوس

3 .لبيد بن ربيعة العامري

هو أحد أشراف الشعراء المجيدين، وهو من بنى عامر ابن صعصعة، إحدى بطون هوازن من مضر. نشأ جوادا شجاعا فاتكا. ولما ظهر الإسلام أسلم ومات سنة إحدى وأربعين من الهجرة .[20]ومن أبياته المشيرة إلى الإيمان بالله ما يلي:[21]

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي لب إلى الله واهل

ألا كل شيء مـــا خـلا الله بـاطل وكل نعيم لا محـــالة زائـــل

يشرح لبيد بهذه الأبيات تأمله أن الناس في حقيقة الأمر لا يعرفون ما هم فيه من خطر الدنيا وسرعة زوالها. ويرى أن العاقل كله يحتاج إلى الله ويستمد إليه ولا يكون إلا بفضله، فالله هو الحق وكل شيء سواه باطل وكل ما حصل عليه الناس من نعم وغيرها زائل.

4. النابغة الذبياني

هو أبو أمامة زياد بن معاوية أحد فحول الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية وزعيم بعكاظ. وهو من أشرف ذبيان وهو لم يتكسب شعره إلا في مدح ملوك العرب فيكون له عنده منزلة رفيعة. إنه اتصل بملوك الحيرة ومدحهم وطالت صحبته للنعمان بن المنذر فأدناه منه إلى أن وشى به عند النعمان أحد بطانته، فغضب عليه وهم بقتله فأسر إليه بذلك عصام حاجب

النعمان، فهرب النابغة إلى ملوك غسان في الشام المنافسين للمناذرة في ملوك العرب في الحيرة. كان عمره طويلا ومات قبيل البعثة[22]. ومن أبياته الدالة على الإيمان بالله الوهاب هي:[23]

لهم شيمة لم يعطها الله غيرهم من الجود والأحلام غير عواذب

محلتهم ذات الإلـــه ودينهم قويم فـما يرجون غير العواقب

يمدح النابغة بهذه الأبيات ملوك غسان بأن لهم شيمة من الجود والأحلام والدين والقويم. وهذه يعطيها الله الوهاب إياهم. ولما مدح النعمان، أحد ملوك المناذرة قال:[24]

وإنك شمس والملوك كواكب إذا لـم يـبد منهن كـــوكب

فـــلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلى به القار أجرب

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل مـلك دونها يتذبـذب

وهو بهذه الأبيات يمدح النعمان ويشبهه بالشمس والملوك الآخرين بالكواكب. إذا طلعت الشمس لم تبد الكواكب. يمدح النعمان بأن له منزلة رفيعة بين الملوك. وكانت هذه المنزلة هدفا لكل ملك يبذل جهده ليحصل عليها ولم ينجحوا. وهو بشرح بالسؤال البلاغي أن منزلة النعمان من فضل الله الوهاب. ويقصد النابغة المدح الاعتذار من خطيئاته حتى يهم النعمان بقتله، ولا يدعو إلى هذا إلا وشاية الذي لا يرغب في صحبته له.

5. زهير بن أبن سلمى

واسمه ربيعه بن رياح المزني، أحد فحول الطبقة الأولى من الجاهلية. نشأ في غطفان وإن كان من مزينة من بيت جل أهليه شعراء، رجلا ونساء. وكان زهير سيدا كثير المال حليما معروفا بالورع متدينا مؤمنا بالبعث والحساب. ومات بعد البعثة بسنة.[25] ومن أبياته الدالة إلي الإيمان بالله هو:

فلا تكتمن الله ما في أنفسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

ينذر زهير بهذا البيت أن الله على كل شيء عليم، لا يخفى عليه كل ما يكتمونه في أنفسهم. ويعبر أيضا عن علم الله الشاعر الأتي:

6. الحارث بن حلزة اليشكري

يتصل نسبه إلى يشكر رهط من بكر بن وائل. مادام ينشد الشعر وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة. ومات قبل الهجرة بنحو بخمسين سنة[26]. ولما صور الحارث بطولة قومه في ميدان الحرب بحيث يغلبون على أعدائهم قال:[27]

وفعلنا بهم كما علم اللـــ ـــه وما أن للخائنين دماء

7. ورقة بن نوفل

أحد حكماء العرب وحنفاءها، هو عم زوجة الرسول سلى الله عليه وسلم خديجة، وكان من المسيحين. روي أنه يترجم الإنجيل، إلى اللغة العربية. ومن أبياته المشيرة إلى الاعتقاد بالله السميع دعاء العبد، المجيب ما طلبه عبده هي:[28]

أقول إذا أهبطت أرضا مخوفـــة حنانيك لا تظهر علينا الأعاديـا

حنانيك أن الجن كانت رجاءهـم وأنت إلـــــهي ربنا ورجـائيا

أدين لـــرب يستجيب ولا أرى أديـن لمـــن لا يسمع الدهر داعيا

أقـول إذا صليت في كـل بيـــعة تباركت قـد أكثرت باسمك داعيا

ويعبر ورقة بهذه الأبيات عن تجاربه الدينية والاطمئنان، والرب المرجو السميع المستجيب داعيا وطالبا الحفيظ عباده. ويقول زيد بن عمرو بن نوفل:[29]

عذت بما أعـاذ إبراهيم مستقبـل الكعبة وهو قائم

يقول أنني لك عان راغم مهمي تجشمي فإني حاشم

ويشرح ورقة في أبياته الأخرى سبحان الله الذي له سبح الجودي والجمود، هو المعاذ وله سخر كل ما تحت السماء.[30]

سبحان الله ذي العرش سبحانا نعود به وقبل سبح الجودي والجمود

سخر كل ما تحت السماء له لا ينبغي أن يناوى ملكه أحد

وكل خلق ومنه الطير يسبح لله. وهذا قد قاله الشاعر الآتي:

8. أبو قيس في أبياته[31]

وله الطير تستريد وتأوى في وكور من آمنات الجبال

وله الوحش في الفلاة نراها في حفاف وظلال الرمال

9. أمية بن أبي الصلت

هو أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر خطير من أشراف ثقيف. واحد الملتمسين للدين في الجاهلية. وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف. روى الكثير من أخبار اليهود والنصارى وما بقي في رؤوس شيوخ الجاهلية من ملة إبراهيم وإسماعيل. رأى في هذه الكتب ما يبشر ببعثة نبي من العرب فطمع أن يكونه. فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كسف باله وحمله الحسد والكمد أن ينابذه. وأقام بالطائف إلى أن مات بها كافرا سنة سبع للهجرة[32]. ومن أبياته الدالة على الدين هي:[33]

الحمد لله ممسنا ومصبحنا بالخير صبحا ربي ومسنا

رب الحنيفة لم تنفذ خزائنه مملوءة طبق الآفاق سلطانا

ألا نبي لنا منا فيخبرنا ما بعد غايتنا من رأس محيانا

وقد علمنا لو أن العلم ينفعنا أن سوف تلحق أخرانا بأولانا

ويعبر أمية بن أبي الصلت بهذه الأبيات أن الله الحمد، والخزائن المملوءة التي لن تنفذ وسلطان العلم ويقرر بناء على كتب أهل الكتاب التي قرأها أن نبيا من العرب يظهر فيخبر الغاية من هذه الحياة.

وفي أبياته الأخرى يقول أمية:[34]

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته يبقى الإله ويودى المال والولد

يقرر أمية بهذه الشعر أن كل شيء ومنه المال والولد لن تبقي لا بقاء إلا الله.

وأما الأبيات الجاهلية التي تعكس الإيمان باليوم الآخر وما فيه من الحوادث المبدوءة بالموت، منها:

1. والاعتقاد بالموت قد قرره النابغة الذبياني لما سمع وفاة النعمان من المنذر، رثاه بأبياته منها:[35]

إني وجدت سهام الموت معرضة بكل حتف من الآجال مكتوب

2. الإيمان بأن كل المرء يأتيه أجله في النهاية ويرقد في القبر. ولما صور عادى بن زيد- أحد شيوخ الجاهلية من بني تميم - أقام بالحيرة وهو مسيحي. كان كاتبا لملك الفرس هرموس، توفي سنة ثمان وسبعين وخمس مائة ميلادية- النعمان بن المنذر - حين يتجول بلباس لم يعرفه أحد أثناء هذه التجولة. قال:[36]

فارعوى قلبه فقال وما غبـ ـطه حي إلى الممات يسير

ثم بعد الفلاح والملك والأمـ ـة وأرتهم هناك القبور

يصور عادى بهذه الأبيات أن النعمان يلخص بعد فكره وتأمله فيما شهده من الحوادث بأن يسير كل غبطة حتى ناله المرء من الفلاح والملك إلى الممات ويكون المرء في النهاية راقدا في القبر.

3. الإيمان بأن كل أعمال المرء في الدنيا مسجل ومسئول عنه في يوم الحساب. قال زهير بن أبي سلمى:[37]

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

هو يشرح بهذا البيت أن جميع ما فعله المرء يوضع في كتاب ويدخر فيكشف يوم الحساب مسئولا عنه أو يعجل فينقم مباشرة في الدنيا دون انتظار يوم الحساب.

4. الاعتقاد بأن للموت بصائر واعتبارات لمن يحي. قال قس بن ساعدة الإيادي[38]

في الذاهبين الأولـ ـى من القرون لنا بصائر

لـما رأيت مـواردا للموت ليس لها مصـادر

ورأيت قومي نحوها تمضى الأصـاغر والأكابر

لا يرجع الماضى ولا يبقى من الباقين غـابر

الاختتام

هذه المقالة البسيطة استنتجها المؤلف كما يلي:

1. تدل الموضوعات الدينية في الشعر الجاهلي على أن هناك مجموعة قليلة ما زالوا يبحثون عن الرب غير ما يعبده العرب من الأصنام. تتكون هذه الجماعة المشهورة بالحنفاء من الشعراء والرهبان الذين يصورون فيما بعد ما اعتقدوه في الشعر.

2. تكون هذه الموضوعات بالنظر إلى ما قرره ابن عباس من أن الشعر ديوان العرب أدلة على أن هناك كان نظام العرب الديني التوحيدي مهما يكن التحريف فيه: وهذه الوقائع يمكن تحقيقها في تاريخ العرب الديني . فهم قد عملوا هذا النظام الذي في بادئ الأمر عرفه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فحمله اليهود والنصارى ولم يكن كاملا إلى أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم ليقومه.

3. ويبدو أن الموضوعات الدينية التوحيدية في الشعر الجاهلي قد اعترف بها القرآن المنزل فيما بعد إلا أنها لم تعد تكون كما دعا إليه الرسل والأنبياء . إنها إذا ربطت بمبادئ النظام التوحيدي الثلاثة المشهورة بتوحيد الربوبية والملك. وتوحيد الألوهية والعبادة وتوحيد الأسماء والصفات فلم يبق من العرب الجاهلية إلا الأول والثاني وهما توحيد الربوبية والملك وتوحيد الأسماء والصفات.

هذه هي النتائج الثلاثة التي يستنتجها الكاتب في هذه المقالة لعلها نافعة لتطور العلم. والله أعلم بالصواب *** .

---

[1]. أحمد أمين، فجر الإسلام، القاهرة: دار الكتب، ط. 11، 1975، ص. 69

[2]. محمود جاد عكاوي، الموجز في الأدب العربي، يوجياكرتا، Horison Press ، 1392، ج. 1، ص. 17-8

[3]. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، بيروت، دار الفكر، 1368، ص. 121

[4]. محمد عبده ، رسالة التوحيد، مصر، 1969، ص. 7

[5]. Nuruzaman as Siddiqi, *Pengantar Sejarah Muslim*, Yogyakarta, Mentari Masa, 1989, hlm. 116

[6]. نفس المصدر، ص. 118

---

[7]. سورة لقمان: 25

[8]. سورة الزمر : 3

[9]. Ali Mufradi, *Islam di Kawasan Kebudayaan Arab*, Jakarta, Logos, 1997, hlm.9

[10]. أحمد الإسكندر وأصحابه، الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، دار المعارف، ط. 18، مصر، دون السنة، 59

[11]. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، مصر، ط. 25، القاهرة، دون السنة، ص. 28

[12]. شوقي ضيف، ص. 74

[13]. أحمد الإسكندر، المصدر السابق، ص. 44

[14]. أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، مكتبة التجارية الكبرى، ط. 21، مصر، 1967، ص. 25-6، وانظر أيضا في عكاوي الموجز في الأدب العربي، 1392، يوجياكرتا، ص. 81-2

[15]. إبراهيم البيسوني، نشأة التصوف الإسلامي ، دار المعارف، مصر، 1969، ص. 38

[16]. نفس المصدر وصفحته

[17]. نفس المصدر، ص. 41

[18]. أحمد حسن الزيات،تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، مصر، ط. 25،القاهرة، بلا سنة،ص 20

[19]. البيسوني، المرجع السابق، ص. 45.

[20]. أحمد الهاشمي، المرجع السابق، ص. 87

[21]. أحمد الإسكندر وأصحابه، المرجع السابق، ص. 88

[22]. أحمد الهاشمي، المرجع السابق، ص. 39

[23]. شوقي ضيف، المرجع السابق، ص. 384

[24]. نفس المصدر، ص. 291

[25]. أحمد الهاشمي، ص. 46

[26]. نفس المصدر، ص. 82

[27]. أبو بكر محمد بن القاسم العنبري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهلية، دار المعارف، ط.2، مصر، 1969، ص. 495

[28]. إبراهيم البيسوني، المرجع السابق، ص. 41–42

[29]. نفس المصدر، ص. 44

[30]. نفس المصدر، ص. 45

[31]. نفس المصدر وصفحته

[32]. أحمد الهاشمي، المرجع السابق، ص. 98

[33]. نفس المصدر، ص. 99–100

[34]. إبراهيم البيسوني، المرجع السابق، ص. 46

[35]. نفس المصدر، ص. 37

[36]. نفس المصدر، ص. 38

[37]. أحمد الهاشمي، المرجع السابق، ص. 49

[38]. إبراهيم البيسوني، ص. 36